

مذكرات القائد حول الهجوم على المدرسة الفيضية من قبل السافاك



في عصر اليوم الثاني من شهر فروردين عام 1342هـ.ش [1963م] الذي صادف يوم 25 شوال سنة 1382هـ ذكرى وفاة الإمام الصادق (ع)، عُقد مجلس عزاء في المدرسة الفيضية من قبل آية الله الكلبايكاني، وهناك أطلق أفراد القوات الخاصة - كما علمنا فيما بعد - شعارات أثناء انعقاد العزاء، أدت إلى حدوث اشتباكات بينهم وبين الحاضرين في ذلك المجلس، وقد قامت تلك القوات بقطع الأغصان من أشجار المدرسة وبادرت إلى الاعتداء على الناس طبعاً لم يكن هدفهم ضرب عامة الناس بل كان الهدف ضرب طلاب العلوم الدينية، إلا أنهم بدأوا بضرب الناس وإرعابهم؛ حتى يتسنى لهم الانفراد بالطلاب بعد أن يفرّ الناس من المدرسة.

وبعد مدّة قصيرة بدأ الطلاب - الذين أخذوا بغتة في بداية الأمر - بالدفاع عن أنفسهم. فالذين كانت لديهم عصي في غرفهم نزلوا إلى ساحة المواجهة بعصيتهم، والعصي كانت سلاحاً متوفراً لدى الجميع، ومنذ القديم كان شائعاً أن يدّخر الطلاب العصي في غرفهم تحسباً للطوارئ. بالإضافة إلى ذلك قام بعض الطلاب بقطع أغصان أشجار المدرسة وبدأوا بالاشتباك مع المهاجمين، وبهذا تحوّل فناء المدرسة الفيضية إلى ساحة اشتباك بين الطلاب وأفراد القوات الخاصة، فالطلاب كانوا يلفّون عباةاتهم حول

أيديهم - حسب العادة القديمة - ويبادرون بالهجوم على المعتدين حتى تمكّنوا من إخراجهم من المدرسة، وفي أثناء الاشتباك قام الناس بإخفاء آية الله الكلبايكاني في إحدى الغرف حتى يمكن إخراجها في الوقت المناسب من المدرسة، وكذلك قام بعض الشيوخ والمسنيين بالاختفاء في غرف المدرسة.

وبعد هزيمة أفراد القوّات الخاصّة وفرارهم من المدرسة نتيجة دفاع المستميت للطلاب، تسلّقوا سطح المدرسة عن طريق الفنادق المجاورة وبمساعدة الحرّاس وأفراد السافاك، وبدأوا بإطلاق النار على الطلاب الموجودين في المدرسة، وبهذا الأسلوب تمكّنوا من السيطرة على المدرسة، وبعدها شرعوا بكسر أبواب الغرف والاعتداء على الطلاب وضربهم ضرباً مبرحاً وأحرقوا أثاثهم في وسط فناء المدرسة والطلاب - بطبيعة الحال - لم يكن لديهم أثاث ذو قيمة سوى أواني مطبخ قديمة أو فراش ممزّق، أو ثياب رثّة، فأنا - مثلاً - كان لدي إبريق شاي وكان مسوداً بشكل كامل لكثرة تعرّضه للدخان، ومع هذا كنت أصنع فيه الشاي للضيوف الذين كانوا يأتون لزيارتي. وبعد مرور عدّة أيام من الهجوم على المدرسة الفيضية زارني عدد من الأصدقاء الجامعيين الذين يزورونني عند مجيئهم إلى قم في بعض الأحيان وعندما زاروني في تلك المرّة قالوا مازحين: إننا حينما سمعنا بالهجوم على المدرسة الفيضية ونهب أثاث الطلاب دعونا الله أن يهجموا على المدرسة الحجّية لعلّهم يأخذون ذلك الإبريق المسود حتى نتخلّص من شرّه.

وبالإضافة إلى هجوم عصر يوم الثاني من فروردين، هجمت القوات الخاصّة مرّة أخرى في اليوم التالي على المدرسة الفيضية وبادرت إلى ضرب وجرح كل من وجدته هناك، وأشاعت الرعب والخوف لعدّة أيام في مدينة قم، حتى أن الطلاب لم يكونوا يجرأون على التجوّل في الشوارع خلال تلك الأيام.

وفي المدارس الدينية الأخرى لم يكن الطلاب يشعرون بالأمن، حيث كان من المحتمل أن يهجموا على تلك المدارس أيضاً.

ولهذا فقد اختفيت عدّة أيام في بيوت بعض الأصدقاء، ولم أستطع الذهاب إلى المدرسة أو الخروج إلى الشارع.

وفي أثناء إغارة القوّات الخاصّة على المدرسة الفيضية كنت متوجّهاً إليها برفقة السيد جعفر الشبيري الزنجاني من أجل المشاركة في مجلس العزاء الذي أقامه السيد الكلبايكاني، وفي نهاية زقاق الحرم شاهدنا الطلاب يأتون مسرعين، بعضهم كان حاسراً وبعضهم حفاة والبعض الآخر بلا عباة، وكانوا يقولون لنا لا تذهبوا إلى هناك فالأوضاع خطيرة جدّاً، ولم نكن ندري ما سبب الخطورة التي يتحدّثون

عنها إلى أن مرّ بنا أحد الأصدقاء وأخبرنا بأنّ هجوماً وقع على المدرسة الفيضيّة وأنّ المهاجمين يقومون بضرب الطلاب وقتلهم. ولهذا قرّرنا الذهاب إلى بيت السيد الخميني، وحينما أوشكنا على الدخول إلى شارع إرم من طريق زقاق الحرم لاحظنا أنّ الشارع خال من السيارات والمارّة، باستثناء عدد قليل من الأشخاص كانوا واقفين عند مدخل زقاق ارك وقد انتابهم الخوف والهلع.

وصلنا - أنا والسيد جعفر - إلى دار الإمام على وجه السرعة، فشهدنا عدد من الطلاب الرياضيين الأقوياء (كعلي أصغر دواني)، واقفين أمام باب دار الإمام، وكان باب الديوان (البراني) مفتوحاً والإمام متهيّئاً لصلاة المغرب والعشاء، فدخلت إلى الديوان وبدأت بمشاوره عدّة أشخاص عن كيفية توفير الحماية لدار الإمام، وكيفية تحصينه بحيث يمكننا الدفاع عنه في حالة وقوع أي هجوم عليه، ففكّرت أنّ أوّل خطوة يجب أن نقوم بها هي غلق باب الدار، ولكنّهم أشاروا إلى أنّ الإمام قال: لا تغلقوا باب الدار أبداً. وانهم حينما أغلقوها عصرًا اعترض عليهم قائلاً: إذا أغلقتم الباب فسوف أخرج إلى الشارع، ولكيلا يخرج الإمام من الدار اضطرّوا إلى ترك الباب مفتوحاً، فقلت لهم: إذن لنهيّء كمّية من العصي حتّى نتمكن من المقاومة إذا ما قاموا بالهجوم.